أشقياء

دقت الساعة السادسة مساء، حينما طرق «منير» باب المنزل سارعت الأم إلى فتح الباب-ألقى عليها التحية المعتادة وأخذ كرسي في المطبخ ينتظر أخته «حليمة» التي عادة ما تقدم له القهوة. لكنه استبطأها هذه المرّة ليسأل أمّه عنها، فأجابته بأنها قلقة بشأنها فهي لم تعد من الثانوية لحد الساعة. وفي أثناء الحديث طرقت حليمة الباب ليهجم عليها منير بصفعتان إلى الخد دون أن يسألها عن سبب التأخر. فجأة سقطت الأم مغشي عليها سارع منير إلى كوب ماء وأحضرت حليمة قارورة عطر من غرفتها. استفاقت الأم وطلبا منها المعذرة.

ردت الأم متنهدة: نعم أسامحكما يا فلذتا كبدي ... لطالما سامحتكما.

منير: وهل بدر منّا من قبل ما أزعجك ؟

الأم: أوتسأل ؟ لطالما كنتما مزعجان ... ولكن أحبّكما

حليمة: كيف ذلك يا أمي ؟

الأم: حملتكما في بطني ووضعتكما بعسر بعد أن شقت بطني ... ومع ذلك أحبّكما ... فعانيت ما عنيت من مشقة الحمل والوضع لكن سرعان ما نسيت إزعاجكما بمجرد أن سمعت رنين صوتكما بعد الوضع ... تملأ عيناي بريقا.

منير: سامحيني أمي

حليمة: سامحيني أمي

الأم: كنتما تحبوان وتزعجاني بكسر الأشياء وتلطيخ الأرضية

بما بدا لكما ... فأنت يا منير أتذكر يوما كنت تلعب في غرفة النوم ووالدك يستعد لطلائها بالدهن لأجد الدهن مفرغا على الأرض. مسحتها وأنا أضحك كأنّ ابني بطل فيلم كرتوني.

وأنت يا حليمة أتذكر ذات يوم خرجت إلى الشارع لتلعبي فغسلت رأس صاحبتك بالرمل فما كان منّي إلا أن أحضرت البنت وقمت بتنظيف شعرها وأعطيتها دمية من الدمى لتسكت ولا تخبر أمها التي كنت متأكدة بأنها سترفع شكوى ضدنا. ولكن ربنا ستر.

- توفي والدكما رحمة الله عليه وترككما صبيان، فخرجت إلى العمل في ربيع عمري لأؤمن لكما قوتكما ولبسكما. وأنا أكابد وأصارع مدمني الشهوات... وبالرغم من ذالك أنزعج من أجلكما وتزعجاني ولكن أنتما قرتا عيني.

- منير: ماذا بعد ذلك أمي .. إحكي لنا فكلامك كله عبرة

- حليمة: نعم أمّي فكلامك قد أفاقني من غفلتي، كأني كنت في حلم.

- منير: عندها حق. أكملي أمّي.

الأم: في يوم من الأيام اشتريت دمية لأختك لأنّها كانت بالمستشفى. إلا أنّك غضبت، وعزمت ألا تذهب إلى المدرسة حتى أشتري لك كرة تلعب بها مع أقرانك وكان عمرك ١٢ سنة تقريبا. فلم أجد سبيلا سوى الاستدانة من أحدى الجارات ووفرت لك الكرة حتى لا تتغيب عن الدراسة.

- حليمة: حقا. كم نحن مزعجان. ولكنّنا نحبك أمّي

- الأم: لكم عانيت حتى تدرسا وأراك يا منير في الجامعة التي أنت فيها الآن. وأتمنى أن تحصل أختك على شهادة البكالوريا عن قريب يا رب.

- حليمة: إن شاء الله أميّ. وأؤكد لك مرة أخرى بأنّني تأخرت بسبب الدروس الخصوصية. ولم استطع الاتصال بك لأخبرك بأنّي سوف أتأخر. وأعدك ألا تتكرر.

- منير: قلقت عليك أختي. لهذا بدر منّي ذالك التصرف. فأعتذر إليك.

- حليمة: لا عليك أخي.

- منيروحليمة: سامحينا يا أغلى أمّ في العالم.

* طبع كل واحد منهما قبلة على خد الأم وجبينها. وعمّت الابتسامة بالبيت.